

رحلة فلسفية من قرية أردنية إلى ساحل الأطلسي

عمان - تتعدد رؤى الأديب والأكاديمي الأردني بسام الهلول في كتابه "ضح الأمكنة"، لتضم إلى جانب توثيق أجزاء من السيرة الذاتية، مجموعة من الهواجس الإنسانية والموضوعات الوطنية والقومية، إضافة إلى التحليلات التاريخية والسياسية، فتتصهر هذه العناصر كلها جاعة من الكتاب رحلة ذات قيمة معرفية وإنسانية عالية.

قدم المفكر إبراهيم العجلوني للكتاب، الصادر عن "الآن ناشرون وموزعون" بعثان، قائلا "أيمكن، في أقصى الاحتمال أو في أبعد الخيال، أن تضح الأمكنة؟ أيمكن لمربع الضبا، وللأوطان، وللمهاجر وما قد يتقلب على المرء (الغريب) فيها من مراغم وسعة، أن تتعلق قلق الروح في اضطرابها الدائم وارتحالها القدرى؟".

والضح هو صوت أنفاس الخيل عند العدو، يرمز به الكاتب إلى جري الأمان مع الزمن متغيرة، وفي داخل الذات والحنين بلامحها القديمة. ويقول العجلوني إن هذا الكتاب "يتبوأ مكانه، بجدارة، في نسق مرموق من أعمال تتمحور حول إشكالية النهضة، واستعادة الدور الحضاري للأمة، وعلاقة المسلمين بالغرب"، مشيرا إلى أنه يذكرنا بـ"تخليص الإبريز في تلخيص باريز" لرفاعة رافع الطحاوي، و"قنديل أم هاشم" ليحيى

حقي، و"بدوي في أوروبا" لجمعة حماد، و"عصفور من الشرق" لتوفيق الحكيم. بيد أنه "يتفرد بإيقاع نفسي مسكون بالغبرة والغضب النبيلين".

ومن حزن هذه الفضاءات المكانية يشرع الهلول في رحلته، منتظلا من "ميلاده الوعر" في قرية صغيرة، واصفا الجغرافيا، والعادات، وصعوبات العيش، وملامح الزمان بما حملته من عادات وبني اجتماعية تركت أثرها في الفتي الذي كان ما يزال ينسج أحلامه.

ثم يمتد المكان فتبلغ الرحلة بالمؤلف أقاصي المغرب العربي ليكون على موعد مع ساحل الأطلسي، فيصف نفسه وكتابه هذا بأنه "حزاق لكن لا يُشاطرُ أطلسيه"، وينقل كثيرا من معالم الحياة في المغرب وتونس، نثرًا وشعرا ومحكية دارجة.. وينقل إلى فرنسا، ثم العراق، مقدما في كل مرحلة خلاصة تجاربه ورؤاه، ضمن قالب أدبي فلسفي، يمتزج فيه العام بالخاص.

ويعدون المؤلف نصوص الكتاب بما يشير في كل مرة إلى فريدة الموضوعات المطروقة، مثل "بغداد وحفارة القبور ومحفل النهايات ومنفتحها الدلالي للعدد تسعين"، و"القطار والجمال كصيغة وجودية ومتواصلهما الدلالي"، و"من لي بيد كيد قسيس سانت إتين".



مهندس معماري سوري يكتب قصصا تجريدية

دمشق - يعالج الدكتور نزيه بدور في مجموعته القصصية الجديدة "الموتى متفائلون أيضا" مجموعة من الأحداث المعاصرة بأسلوب تجريدي مسقطا عليها تجربته التي استقاها من مجمل مطالعته الأدبية والنقدية ومن واقع مسبقا عليها شيئا من عواطفه الإنسانية.

واعتمد الأديب بدور في المجموعة القصصية الجديدة على أسلوب التكثيف والعبارة الأخلاقية بعيدا عن التفاصيل مع عدم الخروج عن عناصر القصة الأساسية من مقدمة وعرض للأحداث وخاتمة.

وتتناول "الموتى متفائلون أيضا" الموت بأسلوب مختلف حيث بين بدور في مقدمتها أن الكتاب المعاصر غالبا ما يتجاوز موضوع الموت، لكنه اختار أن يقدمه من وجهة نظر كاتب محب للحياة، فضلا عن قصص أخرى عن الحب كتجربة روية عميقة مستخدما في ذلك أسلوبا مقتضبا يمنح السرد بعدا تجريديا يجعلنا وفق رايه نقف أمام الموت وجهها لوجه وهذا يتيح فهمه بشكل آخر.

وفي حديث معه يوضح بدور أنه استلهم قصصه من الحياة وشخصها من الحرب فهناك قصة بعنوان "المنتصر الوحيد" تحكي عن التنازل ويريويها

شباب فقد ساقبه ظل متفائلا بعد أن دخل مدينة مهجورة فيها آثار المعارك، فضلا عن تقديمه منحى جديدا بالتعامل مع القصص العالمية ومثلها قصة "انتظار غودو" التي تناولها بأسلوب خاص وبرؤية فلسفية لبعض أحداثها التي ولقت بدور إلى أنه سعى عبر هذه المجموعة القصصية إلى ركوب موجة جديدة من الحداثة في كتابة القصة هي ثمره مطالعته وقراءاته لعشرات السنين، معتمدا فيها على الفن التجريدي الذي استخلصه من اختصاصه كمهندس معماري.

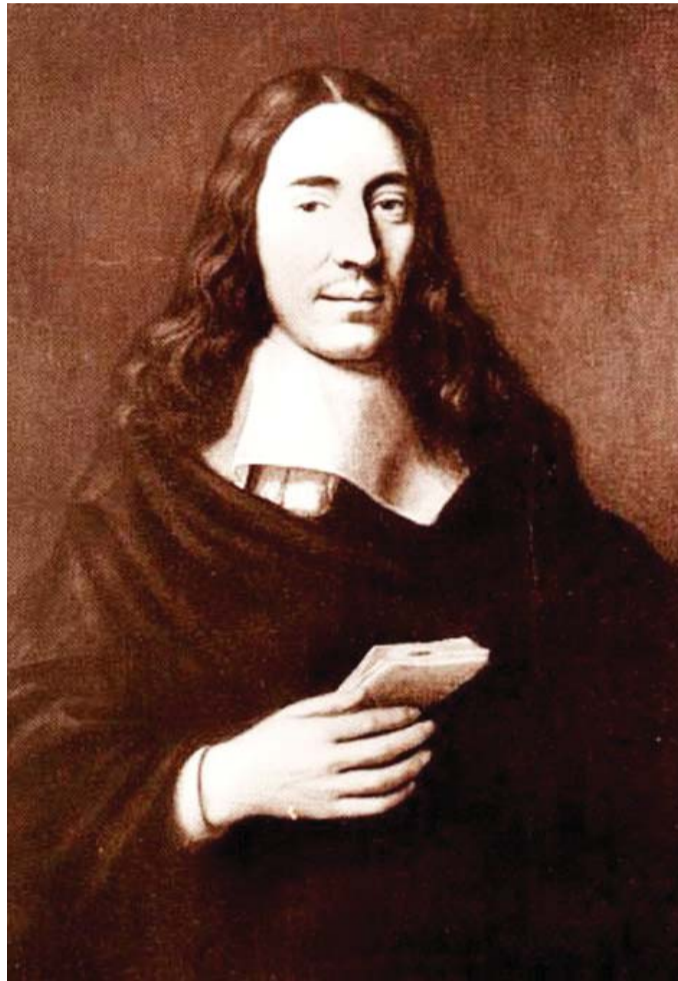
بدور الذي عمل مصمما لجسور عدة في سوريا وأستاذًا في كليتي الهندسة المدنية والمعمارية بجامعة البعث إضافة إلى مزاولة لالادب وللنقد السينمائي، يجد أن القاسم الوحيد بين العمل والثقافة هو الإنسان، فكثير من الأطباء والمهندسين عبروا عن إنسانيتهم بأدبهم، داعيا كل مثقف سوري إلى الالتفات للادب لأنه خلاص للبشرية والقاسم الموحد لها وهذا ما يحاول فعله مثقفو حمص التي تقوم من تحت الرماد وترمم نفسها وخاصة مؤسساتها الثقافية.



مأسى الحرب غربية (لوحة للفنان عمر إبراهيم)

حين اجتمع سبينوزا بالمفكر النازي ألفريد روزنبرغ

«مشكلة سبينوزا» رواية تدين النازية وتدحض أوهايم المتعصبين



ألفريد روزنبرغ استولى على إرث سبينوزا

من كتاب غوته قوله "إن العقل الذي كان له تأثير قوي على وعلى طريقة التفكير هو سبينوزا. فبعد أن بحثت طويلا، لكن عبثا، في كل مكان عن وسيلة أصقل فيها طبيعتي الغربية، عثرت أخيرا على كتاب الأخلاق الذي كتبه هذا الرجل. فهو الكتاب الذي هذا عواطفى المتأججة، وفتح أمامي مشهدا فسيحا وحرا على الجوهر والعالم الفاني".

ويحاول إجراء تماه بين ما يعرضه وما يعيشه بطله من صراع، عساه يساعده بحسمه لصالح الجانب العنصري، وذلك أيضا من خلال استعادة رأي غوته عن سبينوزا، وقوله إن البعض رأى أنه رجل ملحد يستحق الشجب والإدانة، لكنهم اعترفوا أيضا بعد ذلك بأنه رجل مفكر، هادئ، مواطن صالح محب.

استند يالوم في حكايته على التفاصيل الواسعة عن حياة روزنبرغ الواردة في السجلات التاريخية، عائلته وتعليمه وزيجاته وتطلعاته الفنية، وتجربته في روسيا، ومحاولته التطوع في الجيش الألماني، وهروبه من إستونيا إلى برلين ثم ميونخ، وتدريبه وتطوره كمحرر، وعلاقته مع هتلر، ودوره في انقلاب ميونخ، واجتماعه الثلاثي مع هتلر وهيوستن ستورات تشامبرلين، والمناصب النازية المختلفة، وكتاباتهِ وجائزته الوطنية وتجربته في محاكمة نورمبرغ.

الكاتب يستذكر من خلال أبطاله الأوهام والشعارات التي كان يسوقها النازي من أجل الإغلاء من قيمة العرق

يعمل صاحب "عندما بكى نبتشسه" على تعرية لؤنة الفكر، وإدانة العنصرية والتعصب العرقي من خلال دحض الأوهام الفكرية التي مهدت له وروجه كفكر عنصري حاد على البشرية جمعاء، وعلى كل المختلفين، وكان العالم يجب أن يخلو من الألوان والأعراق المختلفة ليسود عرق يتوهم التفرد والعظمة والنقاء، وذلك ما يتسبب بمحن كبرى للبشرية، ويؤجج الحروب والكوارث ويساهم في نشر العداء والأحقاد.

الحرب العالمية الأولى اسمه أدولف هتلر، انضم إلى الحزب، وبعد عشرين سنة وضع قلمه في خدمته، وكتب كتابا بعنوان أسطورة القرن العشرين الذي بيع منه أكثر من مليون نسخة، عرض فيه الكثير من الأسس الأيديولوجية للحزب النازي، وبرر فيه مسألة القضاء على اليهود الأوروبيين.

ثم يستعيد حكايته حين اقتحمت قواته متحفا هولنديا صغيرا في رنسبرخ وصارت مكتبة سبينوزا الشخصية التي كانت تضم مئة وواحد وخمسين مجلدا، وأنه بعد ست وثلاثين سنة من تلك الحادثة، بدت عيناها المحاطتان بهالتين داكتنتين في حيرة وهز رأسه بالفني عندما ساله الجلال الأميركي في نورمبرغ: هل لديك كلمات أخيرة تريد أن تقولها؟

فكر ملوث

يستذكر يالوم من خلال أبطاله كذلك الأوهام والشعارات التي كان يسوقها النازي من أجل الإغلاء من قيمة العرق الأري الذي ينسب إليه، والخط من قيمة وشان الأعراق الأخرى، ووصف الآخرين بأنهم طفيليون وضعفاء والأعداء الأبديون، وأن العرق الأري محارب من قبل اليهود الذين يناهضون القيم والثقافة الأرية، ومن قبل غيرهم من الموضوعين في خاتمة الأعداء.

يكتب عن مزاعم النازيين بأن عرقهم هو الذي خلق الحضارة في جميع الإمبراطوريات العظيمة، لا في اليونان وروما فحسب، وإنما في مصر وبلاد فارس وحتى في الهند كذلك، ولكن جميع الإمبراطوريات انهارت عندما تلوث عرقهم حين أحاطت به أجناس متدنية.

حين يلاحظ مدير المدرسة النزعة العنصرية لدى روزنبرغ يحاول تهدئتها بسبل مختلفة، يكلفه بدراسة سيرة غوته الذاتية، وعليه أن ينسخ كل سطر كتبه عن بطله الشخصية، الرجل الذي عاش منذ فترة طويلة واسمه سبينوزا، وأخبره أن من المهم أن يعرف ما يقوله غوته الذي يعتبره قدوة عن الرجل الذي يحبه ويكن احتراما كبيرا له.

يلفت إلى أن سبينوزا كان يمنح غوته التوازن الذي جعله يوفق بين عاطفته وخياله الجامح بالهدوء والتعلل الصوريين، لذلك يقول غوته عن سبينوزا إنه من أشد عابديه تعبدا.. وتراه يقبّس على لسان روزنبرغ

من الصعب أن تكتب رواية حول الفيلسوف الهولندي باروخ سبينوزا وهذا الرهان الذي نجح فيه الأميركي إرفين د. يالوم بجبهه لقصته تجمع بين زمنين، انطلاقا من حياة وفكر سبينوزا الذي أدت فلسفته إلى نبذ وإقصائه من الطائفة اليهودية، بالتوازي مع قصة صعود وسقوط المنظر النازي ألفريد روزنبرغ، الذي أمر فرقته بنهب محتويات مكتبة سبينوزا القديمة.

في ثنايا كتاباته، ولأنه لم تتوافر لديه معلومات مفصلة عن تفاصيل حياته، فركز على عالمه الداخلي وأعماق شخصيته.

يذكر أنه بعد أن زار متحف سبينوزا في هولندا، لفته تاريخه، وكيف نهب النازي روزنبرغ مكتبة سبينوزا، وسبب اهتمامه الغامض به، واستوقفه تحديدا ما جاء في تقرير الضابط النازي الذي أشرف شخصيا على عملية نهب المكتبة، أن المكتبة تضم أعمالا مبكرة ثمينة ذات أهمية كبيرة لاستكشاف مشكلة سبينوزا، وأنه كيف اعتراه الدهول حين قرأ عن استكشاف مشكلة سبينوزا النازية، وأنه دخل إلى متحف سبينوزا بغموض واحد وغادره بغموض اثنين، وبعد فترة وجيزة بدأ بالكتابة.

ينوه صاحب "علاج شوبنهاور" إلى أنه حاول أن يكتب رواية كان من الممكن أن تحدث، وظل ملتصقا قدر الإمكان بالأحداث التاريخية، واعتمد على خلفيته المهنية كطبيب نفساني ليختل العوالم الداخلية لأبطاله، يبتنو سبينوزا وألفريد روزنبرغ، وخلق شخصيتين هما فرانكو بنيتيز وفريدريش بفيستر، ليكونا بمثابة مدخل إلى نفسيات أبطاله، ويلفت إلى أن جميع المشاهد التي ظهر فيها متخيلة.

يمضي في اتجاهين، الأول يستلهمه بسنة 1656 في أمستردام، يحكي محطات في تاريخ عائلة سبينوزا التي كانت تدير تجارة ناجحة في الاستيراد والتصدير بالجملة، وتدهورت أوضاعها، وكيف ساءت الأحوال بها، بالموازاة مع تصويره لاتجاه مواز تمثل في شخصية روزنبرغ الذي كان فتيا في بداية القرن الماضي، وتحديدا سنة 1911، وكانت حياته ماثلة أمامه، ويصبح صحافيا غزير الإنتاج مناهضا للشيوعية ومعاديا للسامية بقوة.

يصف كيف أن روزنبرغ حين سمع خطبا حماسيا في اجتماع عقده حزب العمال الألماني ألقاه أحد المشاركين في

هيثم حسين كاتب سوري



يبرز الأميركي إرفين د. يالوم في روايته "مشكلة سبينوزا" الواقع بالخيال ليحكي عالما دراميا مبنيا على حكاية المفكر باروخ سبينوزا الذي عاش في القرن السابع عشر، والذي أدت فلسفته إلى نبذ وإقصائه من الطائفة اليهودية، وذلك جنبا إلى جنب مع قصة صعود وسقوط المنظر النازي ألفريد روزنبرغ، الذي أمر فرقته بنهب محتويات مكتبة سبينوزا القديمة بهدف التوصل إلى حل لمشكلة سبينوزا.

يلفت في مقدمته لروايته الصادرة عن منشورات الجمل بترجمة خالد الجبيلي، إلى أنه لطالما كان مفتونا ومعجبا بسبينوزا، وكان يريد منذ سنوات أن يكتب عن هذا المفكر الجريء الذي عاش في القرن السابع عشر، وحيدا في هذا العالم، من دون عائلة ومن دون مجتمع، وألف كتب غيرت العالم، وأنه طالما سحره موضوع نبذه من الطائفة اليهودية من قبل اليهود أنفسهم، وهو في الرابعة والعشرين من عمره، وتعرضه للرقابة طوال حياته من قبل المسيحيين.

متحف وذاكرة

يعبر يالوم عن اعتقاده أن سبينوزا، شأنه شأن نبتشسه وشوبنهاور اللذين كتب عنهما روايتين تستندان إلى حياتهما وفلسفتيهما، كتب أشياء كثيرة في طب الأمراض النفسية والتحليل النفسي. ويسأل نفسه كيف يمكنه أن يكتب رواية عن رجل عاش تلك الحياة التاملية من دون أحداث خارجية مميزة، وكان شخصا انطوائيا، منكمفا على ذاته إلى حد كبير، وأخفى شخصيته